32 - السيدة أم عَطِيَّة

اسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية، وكنيتها أم عَطِيَّةَ، كانت من فواضل النساء السابقات إلى الإسلام، عاشت في خير القرون، قرن بعثة سيد البشر، النبي الأغَرّ، سيدنا محمد ﷺ، فقد حَدَّثَ لَيْثٌ، عَن مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَجْلاَنَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «**أَنَا وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الأَثَر**» ثُمَّ كَأَنَّهُ رَفَضَ مَنْ بَقِيَ[1].

سمعت أم عطية ﵂ كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ، وتحدثت إليه بشكلٍ مباشر، واجتهدت في طلب الحديث حتى حازت مرتبة الرواية، فيا لها من مكرمةٍ عظيمةٍ نالتها! وما أسماه من شرفٍ رفيعٍ حصلت عليه!!

كانت إحدى أشراف نساء الأنصار اللواتي بايعن رسول الله ﷺ على الإسلام، ثم حافظن على عهودهنَّ معه روى النسائي عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُبَايِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَة أَسْعَدَتْنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَذْهَبُ فَأُسْعِدُهَا، ثُمَّ أَجِيئُكَ فَأُبَايِعُكَ، قَالَ: «**اذْهَبِي فَأَسْعِدِيهَا**»، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ فَسَاعَدْتُهَا، ثُمَّ جِئْتُ فَبَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ[2].

وَعَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ حَفْصَةَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ

(1) رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (8127).

(2) رواه: النسائي/ كتاب: البيعة/ باب: بيعة النساء/ برقم: (4108).

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: 12]، قَالَتْ: كَانَ مِنْهُ النِّيَاحَةُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلا آلَ فُلاَنٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعَدُونِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلاَ بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُسْعِدَهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِلا آلَ فُلاَنٍ**»(1).

هداياها لبيوت النبوة

وكانت تكثر التردد على أزواج رسول الله ﷺ، ففازت بمحبة آل بيته الكرام ونسائه وأمهات المؤمنين - رضيَ اللهُ عَنْهُنَّ - وكانت السيدة عائشة بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ - وثيقة الصلة بسيدات الأنصار، تشاركهن أفراحهن، ولا تتركهن في أحزانهن، وتقدِّم الهدايا لهنَّ، وتتقبَّل الهدايا منهنَّ، فكانت لها منزلةٌ عظمى بينهنَّ، وخاصة نسيبة بنت كعب أم عطية ﷺ فقامت مودَّة ورحمة معهنَّ.

وكان رسول الله ﷺ يُسرُّ بهدايا أم عطية، حَدَّثَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ - فَقَالَ: «**عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟**»، قَالَتْ: لا إِلا شَيْءٌ بَعَثَتْ بِهِ أُمُّ عَطِيَّةَ، مِنَ الشَّاةِ الَّتِي بَعَثْتَ إِلَيْهَا مِنَ الصَّدَقَةِ قَالَ: «**إِنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مَحِلَّهَا**»(2).

مشاركتها في الجهاد

ولم تكن أم عطية لتكتفي بطلب العلم من خير المناهل وأعذبها، من رسول الله ﷺ، وأزواجه أمهات المؤمنين، بل أضافت إلى هذه الفضيلة فضيلة أخرى لا تقلُّ عنها شأناً، ألا وهي حب الجهاد، فقد روى الإمام

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجنائز التشديد في النياحة/ باب: / برقم: (1554).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: قبول الهدية/ برقم: (2391).

مسلم عَنْ هِشَام، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمْ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى[1].

وكانت أم عطية ممن يعرف الواجب ولا يتخلف عنه، فحين علمت بوفاة السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ، دخلت عليهم لتواسيهم، فعلَّمها رسول الله ﷺ مع النسوة اللاتي حضرن غسل زينب، ثم روت ﷺ الحديث ليكون سُنَّة تتَّبع في غسل الميت.

روايتها حديث النبي ﷺ

وقد روى الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – في صحيحه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ ﷺ – قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: «**اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا أَوْ خَمْساً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُوراً، أَوْ شَيْئاً مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي**» فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ فَقَالَ: «**أَشْعِرْنَهَا**[2] **إِيَّاهُ**»، تَعْنِي إِزَارَهُ[3].

كَما بَيَّن لهنَّ رسول الله ﷺ طريقة الغسل، فقد روى البخاري عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ﷺ – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَسْلِ ابْنَتِهِ: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا**»[4]، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ قد أكَّد التيامن في كثير من أمور الدين.

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم/ برقم: (3380).

(2) أشعرْنَهَا: أَلْبِسْنَهَا.

(3) إزاره: قميصه، والحديث رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: غسل الميت بالماء والسدر/ برقم: (1175).

(4) رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: يبدأ بميامن الميت/ برقم: (1777).

وكذلك أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: وَسَمِعْتُ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ قَالَتْ: حَدَّثَتْنَا أُمُّ عَطِيَّةَ ﷺ أَنَّهُنَّ جَعَلْنَ رَأْسَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلاَثَةُ قُرُونٍ نَقَضْنَهُ، ثُمَّ غَسَلْنَهُ ثُمَّ جَعَلْنَهُ ثَلاَثَةَ قُرُونٍ[1]، وروى البخاري أيضاً عَنْ أُمِّ الْهُذَيْلِ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ﷺ قَالَتْ: نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا[2].

وما رواية البخاري للأحاديث التي روتها أم عطية الأنصارية ﷺ إلاَّ توكيد للثقة بها وتبيان لفضلها، وعلو شأنها بين رواة أحاديث رسول الله ﷺ، وقد روى عن أم عطية البخاري ومسلم وروى عنها أنس بن مالك عن الصحابة، ومحمد بن سيرين من التابعين، كما روى أصحاب الكتب الستة حديث النهي عن اتِّباع الجنائز، ورواه الإمام مالك إمام الفقه في المدينة، وعمل به أهل المدينة.

وفاتها في البصرة

وفي أيامها الأخيرة رحلت أم عطية إلى البصرة فنزلت في قصر بني خلف، وأصبح منزلها مَزَاراً للصحابة والتابعين، ولمن أراد أن يمتِّع أسماعه بحديث رسول الله ﷺ وظلَّت على ذلك حتى ماتت، رحمها الله، وأجزل مثوبتها، ورضي عنها.

(1) رواه: البخاري/كتاب: الجنائز/باب: نقض ضفائر المرأة/برقم: (1181).
(2) رواه: البخاري/كتاب: الجنائز/باب: اتباع النساء الجنائز/برقم: (1199).